أدنى من سائحنا العربى في مراتب الفضيلة بمراحل ولقد اضطررت لذكر هذه المقارنة احقاقا للحق من حيث هو فى جانب هذا الرجل الذى قضي من سبعة قرون ولكنى إخالنى قد أخطأت المرمي اذ لا لوم على السياح الاجانب في أن يكونوا معضدين من حكوماتهم مادامت أعمالهم تأتى بالفوائد الجمة التي نشاهد أثرها يوميا فى الوجود وانما اللوم علينا نحن أبناء أمثال هذا العربى فى عدم التشبه به ولا بمن دونه وفى الخلود الي البطالة والكسل اللذين كان من ورائهما أن صرنا الى حالتنا الحاضرة التي يبكى لها القريب ويشمت بسببها فينا الغريب {أثري}

(الروسيا فى آسيا)

{٢}

لقد شرحنا فى مقالتنا الاولي التي نشرت بهذه المجلة في العدد الصادر في ١٥ شعبان سنة ١٣١٦ ما كانت عليه امارات آسيا الوسطى الاسلامية من الانقسام الذى ساعد الروسيا على نشر نفوذها على هذه الاقاليم وبسط حمايتها على بعضها والاستيلاء على البعض الآخر وبينا كيف تداخلت فى امارة خوقند واستولت عليها تدريجاً حتى تاخمت بلاد الهند الانكليزية من جهة جبال پامير وهندكوه {١} والآن نفصل للقراء فى هذه العجالة كيف

(١) لقد أخبرنا حضرة العالم الفاضل اسماعيل أفندى رأفت أن حقيقة هذه الجبال هو (هندكوه) لا (هندوكوش) كما ذكرنا فى الرسالة الاولى وكما يرد فى كتب الجغرافية فقال ان هذا الاسم مركب من كلتين (هند) و (كوه) ومعناهما جبال الهند واستشهد على قوله هذا بكلمة شيركوه المركبة من كلتين (شير) ومعناه الاسد و (كوه) ومعناها الجبل

ضاع استقلال امارة بخارى ونشرح في المقالات الآتية كيف ضمت الروس الي أملاكها الواسعة امارة خيوة وواحة مرو الفسيحة وبأى وسيلة قهرت قبائل التكة ومدت في أراضيها الطريق الحديدي الموصل من بحر {قزوين} الي بخارى فسمرقند ومدت منه فرعا من {مرو} وصل الآن الى {كشك} على حدود الافغان فنقول

لما ضايقت الروسيا امارة خوقند وقربت ساعة الاجهاز على استقلالها فطن الامير مظفر الدين خان أمير بخارى الي عاقبة تأخره عن مساعدة مجاوريه على صد هجمات الاعداء فتحرك لمساعدتهم ومديد المعونة اليهم وجمع جيشا جرارا لمحاربة الروس لكن مساعدته هذه أتت بعد فرات الوقت المناسب واضمحلال قوى الخوقنديين ورسوخ قدم الروس فى بلادهم واستعدادهم استعدادا هائلا وجمعهم الجيوش المنظمة التى تحمل السلاح من أتقن طراز وتصحبها المدافع المهلكة ولذلك لم يصعب عليهم الانتصار على الجيش البخارى رغماً عما أبداه البخاريون من المقاومة والاستماتة فى الدفاع لكن لم تجدهم بسالتهم الشخصية شيأ أمام مقذوفات الروس كما لم تجد شجاعة الدراويش فتيلا أمام مدافع مكسيم فى واقعة أم درمان

وبعد أن تم للروس فتح امارة خوقند كما قدمنا فى مقالتنا السابقة عين الجنرال كوفمان حاكما عاما لبلاد التركستان المفتتحة حديثا وبقي فى منصبه هذا مدة عشرين سنة الي ان توفى واليه ينسب اتمام مشروع الروس القاضى بالاستيلاء على جميع الاراضى والبلاد المستقلة التي تفصل أملاكهم الشمالية عن الافغان والفرس لتتمكن يوما ما من منافسة انكلترا فى بلاد الافغان

وأول عمل أتاه هذا القائد التحرش بامارة بخارى لاخضاعها واتهام

مايطيب له منها من الاقاليم فادعي على أمير بخاري بأن أحد قواده أعلن الحرب على الروسيا وساق لمحاربته ثمانية آلاف جندى رغما عن انكار الامير لما أتاه متبوعه . وبعد أن أخذ جنود الامير على غرة وهزمهم بالقرب من نهر زرافشان (١) دخل مدينة سمرقند (٢) عنوة فى ١٤ مايو سنة ١٨٦٨ بعد ان حاصرها ثلاثة أيام .

وفي نفس ذلك اليوم استولى الجنرال جولوفاتشف على مدينة { قتى قورقان } بدون مقاومة تذكر وكان قد أرسل اليها مع خمسة آلاف جندي وثمان أورط من عساكر القوزاق بثمانية مدافع . وبعد ذلك ترك الجنرال كوفمان المرضي والجرحى من جنوده فى قلعة مدينة سمرقند مع حامية قليلة سار بمعظم جيشه لمحاربة الجيش البخارى فلحقه بالقرب من مدينة (صاري پول) وهزمه ثم قصد مدينة بخارى للاستيلاء عليها لكن وصله في طريقه خبر قيام سكان سمرقند على من كان بها من الجنود وحصرهم الروس في القلعة والتضييق عليهم فعاد مسرعا وفرق جموعهم وفك الحصار عن القلعة بعد ستة أيام كان الحرب فيها سجالا ثم أباح المدينة لجنوده ثلاثة أيام ارتكبوا فى خلالها من القتل والسبي والنهب ما سود وجه تاريخهم

---

(١) نهر فى أواسط آسيا يبتديء من جبال (الاي طاغ) ويمر ببخارى ثم يغور فى الرمال قبل ان يصل الي نهر امودريا (جيحون) ويروى من مياهه ماينيف عن مليون فدانا من أخصب الاراضي هذه الجهة وزرافشان كلمتين فارسيتين معناهما ناثر الذهب

(٢) مدينة عظيمة بأواسط آسيا يبلغ عدد سكانها الآن ٤٠ ألف نسمة كانت من أكبر مدن الاسلام خصوصا في أيام تيمورلنك الشهير الذى اتخذها عاصمة لممالكه الواسعة . فبلغ عدد مساجدها فى أيامه ٣٠٠ مسجد وكان بها كثير من المدارس وربوع العلم وبها قبر هذا الملك وآثار المرصد الذى أقامه حفيده (ألغ بك) المتوفي سنة ١٤٤٩ ميلادية

وشوه ماينسبونه لانفسهم من المدنية

ولما أيقن أمير بخاري أن لاقبل له على محاربة الروس وانه لو استمر على مكافحتهم فهم لاشك فائزون مهما بذله هو وجنوده من الاموال والارواح مادامت الامم الاسلامية الاخرى لاهية كل واحدة بنفسها بل ربما كانت جاهلة بما هي فيه من الضيق فأرسل للجنرال كوفمان يطلب منه الصلح فدارت بينهما المخابرات وأخيرا اتفقا على ان يدفع الامير للروسيا غرامة حربية توازى اثنين وسبعين ألف جنيه وان يتنازل لها عن ولايتى سمرقند و (قتى قورقان) (١) ويبقى مستقلا بما بقي له وان يلقب بحليف لروسيا ويعين بمعيته مندوب روسي يبذل له النصح فى ادارة شؤون بلاده الداخلية وان لايخابر أى دولة أخرى الا بواسطة هذا المندوب التابع اداريا الي حاكم بلاد التركستان وأعطوه مقابل ذلك ايالتين صغيرتين فى جنوب خوقند كانت تدعيهما كل من بخاري وخوقند والافغان وأخيرا أبرموا معه معاهدة تجارية تقضي باباحة التجارة لجميع رعايا الروسيا فى امارة بخارى وبأن يكون لهم رئيس (شاهبندر) من بينهم فى كل مدينة أو قرية مهمة وبأن لاتزيد قيمة الكمرك على الواردات اليها من بلاد الروس فى أى حال من الاحوال عن ٢ ونصف في المائة من قيمة البضائع المرادادخالها وبذلك تم ضياع امارة بخاري ولم يبق لاميرها من السلطة الا اسمها وصار الحاكم الحقيقي هو مندوب الروسيا القائم بجانبه يبذل اليه النصح فى الظاهر ويصدر الاوامر فى الحقيقة فصارت

(١) حيث ان معولنا فى كتابة هذه الرسائل على الكتب الافرنجية وكثيرا ما تحرف الاسماء العربية والتركية عند نقلها الى احدى اللغات الاوربية بكيفية يصعب معها ارجاعها الي أصلها عند النقل عنها ثانيا لذلك نبسط الرجاء لحضرات القراء أن يرشدونا الي حقيقة هذه الاسماء اذا وجدوا فيها تحريفا أو تغييرا ويرسلوا ملاحظاتهم الى ادارة المجلة فننشرها بكل سرور وامتنان